International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

الآثار التربوية للغة العربية وعلومها

محمد فاروق نبيل، الأستاذالمساعد، بقسم اللغة العربية،كلية اللغات وآدابها، جامعة بغلان، أفغانستان
ذبيح الله واثق، الأستاذالمساعد بقسم اللغة العربية كلية اللغات وآدابها جامعة بغلان أفغانستان

تاريخ استلام البحث: 2024/07/20	تاريخ نشر البحث: 2024/08/24	المجلد: 6	العدد: 1

الملخص:
يتناول هذ البحث الآثار التربوية للغة العربية وعلومها، ولهذه الدراسة أهمية عظيمة لأن اللغة تعتبروسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عن ما تكنه النفس البشرية، وما يحمله الإنسان من عواطف ومشاعر تجاه الآخرين وتجاه الأشياء، فهي رأس مطالع العلوم فقد قيل: مطالع العلوم ثلاثة: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور، وقُسِّمَ الرجال باعتبار الجود إلى ثلاثة رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله، فكان اللسان أحد مطالع الجود، كما أن اللغة أوالأدب وسيلة إصلاح وتربية وتوجيه لبناء الفضائل الخلقية، والبعد عن الرذائل السلوكية وهجرها، فكم بيت من الشّعر، أو سطرٍ من النثر غرس في قلوب السامعين فضيلة وصدها عن رذيلة. تهدف هذه الدراسة إلى إبرازالأهمية التربوية للغة العربية، بيان الآثار التربوية للغة العربية في الجانب الخلقي والذوق اللفظي، توضيح الآثارالتربوية للغة العربية في الجانب الفكري، بيان الآثار الخلقية للغة العربية. تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي والاستنباطي، من خلال استنتاج المؤثرات التربوية من النصوص الأدبية، وخصائص اللغة العربية، بعد الاستفادة من المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة اللغوية وخصائصها، وتتكون هذه الرسالة من مقدمة وثلاثة مباحث كما تذكرت في المبحث الأول عن آثارااللغة في تربية الذوق اللفظي، وفي المبحث الثاني عن آثارااللغة في التربية الفكرية وفي المبحث الثالث عن آثار اللغة في التربية الأخلاقية .

الكلمات المفتاحية: التربية الذوق اللفظي، التربية الفكرية، التربية الأخلاقية للغة..

The Educational Impacts of Arabic language and Science

Mohammad Farooq Nabil, Department of Arabic Language, Faculty of Humanities and Literature, Baghlan University, Afghanistan

Zabihullah wasiq, Department of Arabic Language, Faculty of Humanities and Literature, Baghlan University, Afghanistan

Corresponding Author: Mohammad Farooq Nabil, **E-mail**: faroognabil786@gmail.com

RECIEVED: 20 July 2024	**PUBLISHED:** 05 August 2024	**DOI:** 10.32996/ijalls.2024.6.1.7

Abstract
This research examines the educational effects of the Arabic language and its sciences, and this discussion is of valuable importance because language is a means of understanding, communicating and expressing what is hidden in the human soul, emotions and feelings that humans have towards others. It is said that there are three sources of knowledge: the thinking heart, the verbal language, and the visual expression. Humans were divided into three categories based on generosity: man by his credit, man by his language, man by his money, so language is one of the sources. It was generosity. Language or literature is also a means of correction and education and guidance to build moral virtues and distance from behavioral vices and put them aside. This research aims to highlight the educational importance of Arabic language, express the educational impacts of Arabic language on the moral aspect and verbal taste, explain the educational effects of Arabic language on the rational dimension, and express the moral effects of Arabic language. This discussion relies on a descriptive and comparative approach after using a descriptive approach that describes linguistic phenomena and their characteristics, by inferring educational effects from literary texts and characteristics of the Arabic language. This treatise consists of an introduction and three parts, in the first part on the influence of language on the education of verbal language, in the second part on the influence of language on intellectual education, and in the third part on the effects of language on moral education.

Keywords: Verbal Education, Intellectual Education, Moral Education Language

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

تعتبر اللغة بصفة عامة الوعاء الذي يحتضن ويحمل العلم، ويُنْتَقَلُ به من مكان إلى مكان، ومن زمن لآخر، ولولا نعمة اللغة التي امتنّ الله بها على عباده، لما توارثت الأمم حضارات غيرها، واستفادت من عِبَرِ الأحداث وما تفتقت عنه عقول العقلاء في كل فن وعلم.

وبهذه اللغة صاغ العرب الحِكَمَ والأمثال، ونظموا الأشعار وتحدثوا بأعذب العبارات، وأجمل الألفاظ، متأثرين بلغتهم العربية التي صنعت فيهم التمدن الفكري والذوقي.

كما أن اللغة العربية وسيلة تربوية للنمو الفكري من حيث توسعة المدارك والخيال، والتأمل والتفكر.

فهذه الجوانب التربوية تمثل أهمية كبيرة في البناء العلمي والتربوي، وتحتاج إلى إيضاح وبيان لتسهم في تعزيز دراسة وتدريس اللغة العربة والاهتمام بتفعيل قواعدها وفروع علومها.

وأرجو أن يكون هذا البحث مساهمة في بيان أبرز الآثار التربوية للغة العربية وأن يكون عوناً لشحذ الهمم نحو مزيد من العناية بهذه اللغة الشريفة وبتدريسها ودراستها وتفعيلها في حياتنا.

أهمية الدراسة

تظهر أهمية هذه الدراسة في مسائل التالية

- الحاجة إلى إظهار الخصائص التربوية العظيمة للغة العربية التي تنعكس على المهتم بها في فكره وأخلاقه، وذوقه.
- حاجة الجهات التعليمية إلى معرفة الآثار التربوية للغة العربية من أجل الاستفادة منها في مجال التدريس.
- حفزالمعلمين نحو استشعار وتذوق اللغة العربية من خلال آثارها التربوية، بما ينعكس على طرائق تدريسهم.
- المساهمة في حفز الطلاب نحو الاهتمام باللغة العربية من خلال بيان آثارها التربوية العظيمة التي تنعكس عليهم من دراستها.

فهذه الزوايا والمنطلقات التربوية تؤكد أهمية التطرق لهذا الموضوع والكشف عن المزايا التربوية للغة العربية وعلومها.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على المضامين الآتية:

- إبراز الأهمية التربوية للغة العربية.
- بيان الآثار التربوية للغة العربية في الجانب اللفظي.
- توضيح الآثار التربوية للغة العربية في الجانب الفكري.
- بيان الآثار الخلقية للغة العربية.

حدود الدراسة

معلومٌ أن ميادين علوم اللغة العربية عديدة ومتفرعة يصعب الخوض فيها بشيء من التفصيل، كما أن المؤثرات التربوية للغة العربية متعددة الجوانب، فتحتاج إلى دراسات متعاقبة ومتظافرة؛ ولذا فقد تم تحديد الدراسة فيما يلي:

- الآثار التربوية للغة العربية في مجالي البناء الفكري.
- الآثار التربوية للغة العربية في الجانب الخلقي والذوق اللفظي.
- إبراز تلك الآثار من خلال عموم اللغة العربية، ومجال الأدب اللغوي

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي والاستنباطي، من خلال استنتاج المؤثرات التربوية من النصوص الأدبية، وخصائص اللغة العربية، بعد الاستفادة من المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة اللغوية وخصائصها.

مفهوم اللغة

اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (أبو الفتح 1/ 33، د،ت)

كما تعرف بأنها: نظام صوتي يمتلك سياقاً اجتماعياً وثقافياً، له دلالاته ورموزه، وهو قابل للنمو والتطور(الشنطي ،24، 1417 هـ 1996م).

الأول: التربية الذوق اللفظي

للغة العربية وعلومها آثار تربوية لاسيما إذا كان متعلمها له نصيب وافر من العلم الشرعي، حيث تكسبه فصاحة في الكلام، وبلاغة في البيان، وجمالاً في تركيب الكلام، وتعينه على إظهار ما استجاشت به نفسه من مشاعر مكارم الأخلاق وسمو النفس، فتكسبه ذوقاً لفظياً، ونمواً فكرياً، وفهماً عميقاً، وعاطفة جياشة لما اكتسب من رقة الطبع، وحسن المشاعر.

أهمية الذوق اللفظي

تعتبر الكلمة الطيبة الجميلة ذات الألفاظ البديعة مدخلاً لقلوب السامعين، وجمالاً لألسنة المتحدثين تكسبهم إعجاب ومحبة الآخرين.

وفي استخدام الألفاظ الجميلة والعبارات الطيبة الحسنة تربية اللسان على ما جمل وحسن من الألفاظ، فلا يألف المرء إلا الكلمات التي تجلب خيراً وتدفع شراً.

وفي تعود اللسان على ما حسن من الألفاظ وقوي، تمكين لصاحبه في التنقل بين حديقة الكلمات الغناء، وتسعفه بأحسن العبارات وأجمل الألفاظ.

وهذا ينعكس على سامعيه ومجالسيه، فتجده بينهم محبوب ولكلامه قبول، ولفكرته مستمعون، وأما صاحب الألفاظ البذيئة، فتجده لم يألف لسانه إلا أرذل الألفاظ وأبخسها، فإذا تحدث كان الناس عنه لاهون ولفكرته غير منتبهين.

الآثار التربوية للذوق اللفظي

لجمال الألفاظ آثار تربوية عظيمة تنعكس على صاحبها وعلى مستمعيه ومنها مايلي

1- الإصغاء للكلمة الجميلة

الكلمة الجميلة تأثر مستمعها، وتجعله يتابع أحداث معانيها ودلالاتها في تفاعل وتأثر؛ لأنها تجذب عواطفه وتأخذ بألبابه، فذاك عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقدم عليه وفود أهل البلدان، فيتقدم إليه وفد أهل الحجاز، فاشرأب منهم غلام للكلام فقال عمر: يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً وقلباً حافظاً، فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا من هو أحق بمجلسك منك، فقال: عمر صدقت، تكلم؛ فهذا السحر الحلال (القيرواني،40/1، د،ت،)

فتأمل كيف أثرت الفكرة الجميلة باللفظ البديع في عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه، وأصغى إلى الغلام حتى انتهى من كلامه وبيانه، وكيف تقدم هذا الغلام على أقرانه وكبراء قومه؟ وكأنه كبيرهم الذي لا يعقد رأي بدونه.

2- التفاعل العاطفي

كما تتفاعل العواطف مع الأحداث السارة والأحداث المؤلمة، فتبغض وتحب وتكره وتميل، فإنها تتفاعل أيضاً مع الكلمات والألفاظ العذبة، بل ربما كان صور تلك العبارات الأدبية الجميلة أكثر تأثيراً من واقع الأحداث، فتتأثر لها القلوب وتتفاعل معها النفوس، وفي صورة من التفاعل العاطفي للكلمة أن دخل المختار بن أبي عبيدة على معاوية وكانت عليه عباءة رثة، فاستحقره، فقال له المختار: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك! ولكن يكلمك من فيها، وأنشد: **أما وإن كان أثوابي ملفقة ... ليست بخزٍ ولا من نسج كتان**

فإن في المجد هماتي وفي لغتي ... فصاحة ولساني غير لحان

فيلاحظ الأثر التربوي للألفاظ والمعاني التي خالف بها المخبر المظهر، فتفاعلت معها أحاسيس قارئها وكأنه ينظر إلى ذلك الموقف ويعايشه، بل يجد عطفاً وتفاعلاً مع ذلك الرجل رث الثياب ذرب اللسان، حتى ليخيّل للمرء أنه لن يبالي بثيابه قدر ما يهتم بمخبره ولسانه.

فالتفاعل العاطفي مع اللغة الأدبية له تأثيراته وإيقاعاته على النفس البشرية فيربي فيها ما لا يتوقع من مكارم الأخلاق.

فمهما تنوعت المجالات والفنون فتظل الألفاظ الأدبية مؤثرة في سامعيها بما يجعلهم يتفاعلون معها عاطفياً، فينسكب أثرها في قوالب تربوية منابعها كلمات اللغة العربية. (أبي الحسن 122ـ 123،د،ت،)

3- التفاعل العقلي والسلوكي

إن بلاغة التصوير اللفظي للأشياء تشد ذهن المستمع أو القارئ لترتسم مكونات الأحداث في عقل المرء، كأنه يشاهدها فتتجاذب لذلك الألباب والعواطف في تفاعل، يُحدث لدى الفرد آثاراً تربوية تظهر في سلوكه وتجاذبه مع الحدث نتيجة ما سمع.

فكم نسمع من كلمات أدبية وقصائد شعرية تصف آلام الأمة في أقصى الكرة الأرضية، ونحن لم نشاهدها عياناً فتتفاعل لها العقول كأنها تشاهد تلك الأحداث وتعايشها، ومن صور الألفاظ البديعة التي تجعل المرء يقف ويفكر في سرعة البديهة وحضور الجواب، والقدرة على صياغة العبارات موقف امرأة وحسن جوابها مع المهدي، فقد قيل: (وقف المهدي على امرأة من بني ثعل، فقال لها: ممن العجوز قالت: من طيء، قال: ما منع طياً أن يكون فيها آخر مثل حاتم؟ قالت: الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك)

ولهذا الموقف الأثر التربوي الفاعل الذي يربي في المستمع بتكرار أمثاله، حسن الجواب وسرعة البديهة، ولما اشتملت عليه المحاورة من تسخير الكلمات والألفاظ لخدمة الأفكار (الجاحظ، 21، 1406 هـ 1986م)

الثاني: التربية الفكرية

مفهوم الفكر

الفكر:هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منها معرفة ثالثة. (الحجاجي، 261، 1408هـ 1988م)

والفكر المقصود هو ذلك التفكير العلمي، إذ هو التفكير المجدي الذي يمكننا من الاستنتاج من المقدمات أو الوقائع (عبد الكريم بكار،14، 1419هـ 1998م)

وليس التفكير العلمي محصوراً في الأبحاث والدراسات، بل إنه منهج يصلح لأن يَصبُغَ جميع مواقف حياة الإنسان في شؤونه الخاصة والعامة، وفي سلوكه الاجتماعي والعلمي.

الأهمية التربوية للتفكير

يعتبر التفكير هدفاً تربوياً يسعى القائمون على المؤسسات التربوية تنميته لدى الناشئة؛ وذلك أنه يصقل عقولهم، وينمو بها نحو الاستخدام الأمثل للفرصة المتاحة المباحة في أي مجال من مجالات الحياة النافعة، والقدرات العقلية عديدة ومتنوعة عند الإنسان مثل: (القدرة على الإدراك، والقدرة على التذكر، والقدر على التخيل، والقدر على الاستنباط والاستنتاج.. (الزنتاني،419، د،ت)

فهذه القدرات في تنوعها تحتاج إلى تنميتها لدى الأفراد من خلال جوانب التعليم والمعرفة المتعددة، ومنها جانب اللغة العربية وعلومها المختلفة التي تقدح ذهن المتعلم، وتنمي فيه قدرات عقلية متنوعة، كسعه الخيال وخصوبته، وفهم مرامي الكلام وتأويله ولحنه ومغازيه، وإدراك الحكمة والتمثل بها قولاً وعملاً.(ابن المقفع،37، 1407هـ 1987م)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بيان أهمية اللغة في التربية العقلية:(تعلموا العربية فإنها تثبت العقول، وتزيد في المروءة. (ابن الجوزي، 222، د،ت)

الآثار التربوية للتفكير

للغة العربية آثار تربوية جلية في النمو الفكري للإنسان، فهي مصدر قوي لسعة الخيال وتخصيبه، بصورها البلاغية وأدبها المتألق وقواعدها الرصينة، والتي فاضت كتب الأدب فيها بالأمثال والحكم التي لا تزيد قارئها إلا حكمة وأدباً وفهماً، ويمكن استجلاء شيئاً من آثارها التربوية الفكرية في الآتي:

1- النمو الفكري

يعتبر الجانب الفكري أحد المطالب التربوية التي تسعى المنشآت التربوية لترسيخها وبنائها وتنميتها في الناشئة،حيث(تعد عملية التفكير كعميلة عقيلة، من أهم وظائف العقل البشري التي تمكنه من الفهم والإدراك، والتمييز والمعرفة والاستيعاب والاستنباط والاستنتاج، وإصدار الأحكام الصائبة)(الزنتاني،444 ،د،ت)

والمتأمل يجد أن اللغة العربية وعلومها من أهم المصادر الفاعلة في تربية الفكر الإنساني ونموه، لما حوته علوم اللغة العربية من الحكم والأمثال والقصائد الشعرية والأدب النثري الذي تزكو به العقول (فللعقول سجيات وغرائز بها تقبل الأدب، وبالأدب تُنَمَّى العقول وتزكو، فكما أن الحبة المدفونة في الأرض لا تقدر أن تخلع يبسها وتُظهر قوتها وتطلع فوق الأرض بزهرتها وريعها ونظرتها ونمائها إلا بمعونة الماء الذي يغور إليها في مستودعها، فيذهب عنها أذى اليَبَس والموت، ويحدث لها بإذن الله القوة والحياة، فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغْرِزِها من القلب، لا قوة لها ولا حياة بها، ولا منفعة عندها حتى يعتملها الأدب الذي هو ثمارها وحياتها ولقاحها.(ابن المقفع، 11ـ12، 1407هـ 1987م)

ويؤكد المتخصصون في اللغة (أن العلاقة بين الفكر واللغة علاقة وثيقة، تصل إلى درجة الارتباط العضوي عند العديد من الباحثين، فإذا كان الفكر محصلة النشاط العقلي في تفاعله مع الكون المحيط به من ناحية، ومع المذخور التجريدي الموجود في الذاكرة من ناحية ثانية، فإن التجسيد الحي لهذا الفكر يتمثل في اللغة، والطفل لا يمتلك أي مهارة لغوية إلا بعد أن يصل إلى مستوى النضج العقلي، ولا يستطيع التفكير إلا بعد أن يمتلك ثروة لغوية، وهذه في مجملها تؤكد أهمية اللغة في النمو الفكري.(الشنطي، 24، 1417 هـ 1996م)

2- سعة الخيال وخصوبته
يعتبر سعة الخيال قدرة ذهنية فكرية متقدمة ذلك (أنه العملية العقلية التي تقوم في جوهرها على إنشاء علاقات جديدة بين الخبرات السابقة، بحيث تنظمها في صور وأشكال لا خبرة للفرد بها من قبل، فهي عملية عقلية تستعين بالتذكر في استرجاع الصور العقلية المختلفة ثم تمضي لتؤلف منها تنظيمات جديدة تصل الفرد بماضيه، وتمتد به إلى حاضره، وتستطرد به إلى مستقبله. (فؤاد البهي،161، د،ت)
ولأسلوب تصوير المعاني وتخيلها وتجسيدها أثرعظيم وفاعل في الميدان التربوي؛ لأنه يثير في النفس العواطف والمشاعر،كما انعكست بلاغة القرآن الكريم وصوره البلاغية على شعراء المسلمين حيث (ارتقى خيال شعراء المسلمين، فاقتبسوا كثيراً من تصوير القرآن الكريم للأمواج والسحاب والنور والظلام، والقمر والنجوم وغيرها، فهذا النابغة الجعدي يقول:(السيد الغندو، 25،24، 1421هـ)

تبعث رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

واللغة العربية لها أثر كبير وبالغ في تنمية الخيال وخصوبته، ذلك أن علومها من أدب وبلاغة تغرس في دارسيها وتربي في أذهانهم سعة الخيال وخصوبته من خلال صور الخيال الأدبية التي تزخر بها مضامين الشعر والنثر، وهذا الخيال المبحر في الأدب ليس خيالاً لا واقع له بل (جمع العرب بين الواقعية الحسية والمثالية المعنوية.(محمد المبارك، 310 ،د،ت)
3- التمثل بالحكمة والموضوعية
والحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، وهذا المفهوم يشير إلى أن الحكمة ليست معرفة الأشياء عن طريق التخمين، وإنما على أساس علمي، لتكون النتيجة صائبة مقبولة وفاعلة، الحكيم: فَعِيل، وبمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، وقيل ذو الحكمة والموضوعية هي ثمرة الحكمة؛ لأن الحكمة تتطلب من الفرد ومن الجماعة أن تضع الأمور في نصابها على أساس علمي أو معرفي، وبالتالي يمكن التقرير بأن الموضوعية هي الاستخدام الأمثل للحكمة وتنزيلها في مصبها ومجراها الصحيح. (ابن الأثير،1/ 418-419 د،ت)
وإن الموضوعية التي هي وليدة الحكمة أساس النجاح والتفوق في المنزل والمدرسة وميدان العمل والتجارة ومع الرفاق والأصدقاء والأعداء وغيرهم، ذلك أنها تجعل الفرد يضع الأمور في نصابها، ولا أحسن وأفضل من وضع الأمور في مواضعها، وقد امتن الله تعالى على عبده لقمان بأن آتاه الحكمة فقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (سورة لقمان، آية رقم ،12) فيخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن امتنانه على عبده الفاضل، لقمان بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالماً ولا يكون حكيماً.
وأما الحكمة: فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع والعمل الصالح.
والحكمة كما يقول الشيخ السعدي هي: من العلوم النافعة والمعارف الصائبة والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً} ؛ لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى. ومن حمق الانحراف إلى إصابة الصواب، فالحكمة شجرة تنبت في القلب، وتثمر في اللسان، وهي موقظة للقلوب من سِنَةِ الغفلة، ومنقذة للبصائر من الحيرة، ولما أن مصنفات الأدب قد حوت في حوزتها وبين دفات كتبها الكثير من الحكم التي صيغت في قوالب بلاغية غاية في الإيجاز، وجمال اللفظ، فإنها جديرة بان يوليها الميدان التربوي الاهتمام اللائق بها من خلال المناهج الدراسية الصفية وغير الصفية.(السعدي، 214، د،ت)
4- تقوية البصيرة: هي الفطنة، والبصير بالأشياء أي العالم بها.
والبصيرة هي أساس الوضوح وسلامة المنهج والطريق. قال تعالى في توجيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوة الخلق: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (سورة يوسف، آية رقم 108) وخير وسيلة لتقوية البصيرة، وفطنة الفهم والتعقل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي بعد ذلك الحكم والأمثال التي انقدحت عن ذوي الألباب من أهل العلم والأدب.
ومن الحكمة البيانية حسن الجواب وحضوره عند الحاجة إليه، قال مسلمة ابن عبد الملك:(ما شيء يؤتى العبد بعد الإيمان بالله تعالى أحبّ إليّ من جواب حاضر، فإن الجواب إذا انعقب لم يكن شيئاً.(الجاحظ، 21، 1406 هـ 1986م)
ولتربية هذه الحاسة قراءة كتب الأدب التي اشتملت وجمعت مواقف في حسن الجواب وتمامه، وسرعة البديهة، وجمال اللفظ، وهي كثيرة وسيأتي ذكر شيء منها. ومن الحكمة التعقل في اتخاذ القرار من حيث الوقت والمكان ونوع اللفظ والعبارة، ليستوجب صفة أولى الألباب (وليس كل ذي نصيب من اللب بمستوجب أن يسمى في ذوي الألباب، ولا يوصف بصفاتهم، فمن رام أن يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف أهلاً فليأخذ له عتاده، فإنه قد رام أمراً جسيماً لا يصلُح على الغفلة، ولا يدرك بالمعجزة، ولا يصير على الأثرة) وإن مما يقدح البصيرة حفظ ما تيسر من الحكم التي حوتها كتب الأدب والتمثل بها عملاً وتطبيقاً.(ابن المقفع،14،2، 1407هـ 1987م)
ومن كتب الأدب النافعة هي هذا: الأدب الصغير والأدب الكبير، لعبد الله ابن المقفع، عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل.

الثالث: التربية الأخلاقية

يمكن القول بأن التربية الخلقية هي: تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جوانبه السلوكية المحمودة، ومن وسائل التنشئة الخلقية اللغة العربية وعلومها على ما سيأتي تفصيله وبيانه.

الأهمية اللغوية في التربية الخلقية

اللغة: هي الوعاء اللفظي للجانب الأخلاقي، وهي الأداة الناقلة للمعاني والدلالات الخلقية، وبدونها لا يمكن للمرء استيعاب المعاني الخلقية؛ ولذلك قيل: العربية تزيد في المروءة (ابن عبد البرد،66، د،ت)
ومن جانب آخر فإن اللغة بفروع علومها المختلفة تعتبر مؤثر فاعل في غرس الفضائل الخلقية، فالأدب الذي هو أحد فروع علوم اللغة العربية يعتبر في مفهومه السليم دعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة التي عليها تبنى العلاقات المتينة بين أفراد المجتمعات، ثم بين المجتمعات. (محمد سعد بن حسين،37، 1421هـ)

الآثار الخلقية للغة العربية

للمتمعن في اللغة العربية وفروع علومها يجد أنها وعاء عميق للتربية الخلقية، وهجر الرذائل السلوكية، وأن العناية بها عناية بالأخلاق والسلوك، وأن رعايتها رعاية للتربية الخلقية؛ ذلك أن لها أثراً عظيماً وفاعلاً في بث الفضائل الخلقية، التي يمكن إيضاحها على سبيل التفريع الإجمالي لا التفريع المبسوط؛ ذلك أن هذا الموضوع هو جزء من موضوع عنوان الدراسة وفرع منها، وإيضاحها فيما يلي.

1- التمسك بأهداب الشريعة
التمسك بأهداب الشريعة الإسلامية هو أول أوصاف الأخلاق الحميدة للفرد، فمن خلا من التقيد بالشريعة فقد خلا من لباس الفضائل الخلقية بأسرها، ذلك أن الدين الإسلامي كله خلق، يقول ابن قيم الجوزية: "إن حسن الخلق هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، ويقول فالدين كله، خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.(ابن قيم الجوزية، 319/2، 1406هـ 1986م)
قال الله تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (سورة القلم، آية رقم ،4) وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم: "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن.(مسلم 512/1ـ 513)
2- الحث على مكارم الأخلاق
تعتبر الأخلاق في المنظور الإسلامي الهدف العام والأساسي في الإسلام، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق(أحمد، 381/2، 1405هـ)
ذلك أن الدين الإسلامي كله خلق في صلة العبد بربه، وبنبيه صلى الله عليه وسلم، وجميع المخلوقات، ولقد أثر هذا المنطلق الإسلامي على تهذيب جارحة اللسان والبيان، ليأتي المنطوق نثراً أو شعراً في أدب جم، بل داعية بلفظه ومعناه إلى فضائل الأخلاق بحكم الالتزام الإسلامي الذي ربى فيهم هذا السلوك اللفظي الذي يربط المعنى النفسي باللفظ الكريم كما قيل: (من أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما) (ابن عبد ربه،139/4، د،ت)
ولذلك نجد الصحابة رضي الله عنهم ومن اقتفى أثرهم قد التزموا باللفظ الشريف، وتركوا ما كان مألوفاً عندهم من ألفاظ الجاهلية كوصف جمال النساء وذكر الخمر ونحو ذلك.
ومن جانب آخر نجد أن دائرة الأدب الشعري والنثري مليئة بما يشحذ الهمم ويقوي النفوس ويدفعها نحو مكارم الأخلاق في شتى الفضائل الخلقية، وميدان الأدب ملئ بما يشحذ الهمم نحو ابتغاء معالي الأخلاق وأزكاها بالكلمة الطيبة، والتركيب الجميل والوصف المؤثر البليغ.
3- التنفير من الرذائل الخلقية
للكلمة الخبيثة المصاغة صياغة بلاغية تأثير فاعل في النفس البشرية؛ ذلك أنها بما تحمله من زخرف القول وديباجة اللفظ، تستثير مكامن الشر في الإنسان نحو الرذائل السلوكية. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (سورة الأنعام، آية رقم 112) أي يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل ويزخرفون له العبارات، حتى يجعلوه
في أحسن صورة ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلاً، والباطل حقاً.(السعدي، 60.59/2، د،ت)
وجاء الإسلام بالمنهج التربوي القويم الذي يحمل الإنسان مسؤولية العبارة التي يتلفظ بها، ليجعل منه شخصية مهذبة الفعال واللسان. قال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (سورة ق، آية:18)
وهذه المسؤولية غرست في اتباع المنهج الإسلامي استشعار تبعية الكلمة ومسؤوليتها وأهميتها وأثرها البالغ، وتبعاتها على مستمعها وقائلها، فهجر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما اعتادوه وألفوه من ألفاظ الجاهلية السيئة كوصف الخمر، وذكر العورات والتباهي بالمناصرة الظالمة، وسار على نهجهم من اقتفى أثرهم من الخلق إلى يومنا هذا، فأخذت الكلمة أهميتها ومسؤوليتها في البيئة المسلمة. (الأزدي،84، 1969م)

النتائج

من خلال هذه الدراسة المتعلقة ببيان الآثار التربوية لعلم اللغة العربية فقد تم التوصل إلى النتائج التالية:
1- أن العناية باللغة العربية عناية بالشريعة الإسلامية.
2- تميز اللغة العربية بخصائص انفردت بها عن غيرها من لغات الدنيا، فهي لغة القرآن الكريم، واتصفت بالاعتدال في عدد حروف كلماتها، واتساع معجمها اللفظي، وجمال ألفاظها وحسن عباراتها.
3- اشتملت التراكيب اللفظية للغة العربية بخصائص فنية وذوقية لا توجد في غيرها.
4- اهتم سلف الأمة من العلماء والخلفاء بدراسة اللغة العربية وآدابها، واتخذوا لأبنائهم المؤدبين.
5- علو منزلة المؤدبين الذين لهم عناية بعلوم اللغة العربية.
5- للغة العربية آثار تربوية على الذوق اللفظي للمهتمين بها، بما ينعكس على تفعيل العواطف والعقول والسلوك من خلال الكلمة العذبة الرصينة.
6- توسع اللغة العربية الجانب الفكري عند المهتمين بها، من خلال توسعة الخيال وخصوبته وتقوية البصيرة.
7- للغة العربية آثار تربوية عظيمة في اكتساب الفضائل الخلقية وهجر الرذائل السلوكية، وذلك بما اشتمل عليه الأدب النثري والشعري من حث على مكارم الأخلاق.

المصادر المراجع

1- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (1405هـ ـ 1985م) المسند، بيروت، المكتب الإسلامي،الطبعة الخامسة.
2- ابن الأثير، مجد الدين المبارك(د، ت) النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت، دار الفكر.
3- القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم (د، ت) زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت، دار الجيل.
4- البخاري، محمد بن إسماعيل(1400ه) الجامع الصحيح، القاهرة: المطبعة السلفية،الطبعة الأولى.
5- الحجاجي، حسن بن علي (1408هـ 1988م) الفكر التربوي عند ابن القيم، جدّة، دار حافظ للنشر.
6- أبي الحسن علي بن عبد الرحمن(د، ت) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، بيروت: دار الكتب العلمية.
7- السجستاني أبو داود، سليمان بن الأشعث(1388هـ ـ 1969م) سنن أبي داود،بيروت، دار الحديث، الطبعة الأولى.
8- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن(د،ت) تاريخ عمر بن الخطاب، الطائف، مكتبة المؤيدة.
9- عبد الغني بن المقفع،(1407هـ 1987م) الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت، دار مكتبة الحياة.
10- عبد الكريم بكار(1419هـ 1998م) فصول في التفكير الموضوعي، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية.
11- عبد الله محمد جار النبي،(1406هـ 1986) ابن قيم الجوزية في الدفاع عن عقيدة السلف، الطبعة الأولى.
12- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري،\(1406 هـ 1986) المحاسن والأضداد ، بيروت، دار احياء العلوم.
13- محمد سعد بن حسين (1421ه) الأدب الإسلامي بين الواقع والتنظير، الرياض، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
14- الشنطي، محمد صالح (1417 هـ 1996م)المهارات اللغوية،حائل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.
15- محمد المبارك،(د،ت) فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر.